منهج الدعوة الإسلامية

إن من أهم أسباب النجاح في نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للعالم هو ارتكازها على منهج قويم ، أو خطة الهية محكمة ، يتمثل في التصدي المباشر لواقع الحياة وقضايا العقيدة ، وتستوعب كل ألوان النشاط الفكري والمادي ، وعلاج العلاقات الثلاث : علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بمجتمعه .

فلا يفر الدعاة من الإسهام في حل مشكلات الإنسان المعيشية ، فيوجهونه نحو العمل والإبداع ، والإفادة من ذخائر الكون ، واستخراج خيرات الأرض ، كما وجّه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] أي أن كل شيء مختص بالناس مباح لهم ، مخلوق لهم على جهة الانتفاع الخاص بهم ، ومن أجل استثمار خزائن الدنيا وخيراتها ، كما جاء في آية أخرى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

ويكون المبدأ هو العمل الجاد لخيري الدنيا والآخرة .

ويقوم الدعاة بتصحيح العقيدة التي تفسر للناس حقيقة الكون والحياة والوجود الإنساني ، وبيان نظام العبادة الأمثل المرضي لله عز وجل ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ، والعناية بمصالح المجتمع وما يرشد إلى العادات الحسنة والأعراف الطيبة الصالحة ، والتركيز على حقوق الإنسان وحرياته وكرامته وصونها ، والجمع بين مطالب الجسد والروح على نحو يحقق التوازن والانسجام ، وتحكيم العقل واحترام حكمه فيما أهّله إليه الشرع من ممارسات في الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية ، وإعمال الفكر في حل مشكلات الحياة وعقَدها المادية ، وتنمية المشاعر والعلاقات الإنسانية على أساس من السلام والاستقرار ، والأمن والاطمئنان ، والعدل ، وترك الاستغلال غير المشروع ، والجور ، ومحاربة التمييز العنصري ، والطبقي بمختلف أشكاله .

والإسلام في منهجه إنساني النزعة ، حريص على إغناء القيم العليا ، يقيم دعائمه على ثوابت دائمة ، وكليات وقواعد عامة ، مع مراعاة مقتضيات التجديد والتطور ، والمرونة في التنفيذ والتطبيق ، والتفاعل مع متطلبات

الحياة ، وتحقيق المواءمة والانسجام مع مقاصد الشريعة ، وأهدافها الكبرى ، وروحها التشريعية العامة .

ومن ضوابط منهج الدعوة الإسلامية : الحفاظ على **الأصالة والمعاصرة** ، أما الأصالة : فهي التزام ما جاء به الوحي الإلهي ، جملة وتفصيلاً ، في الأحوال المعتادة ، وضمن الطاقة أو الاستطاعة . وأما المعاصرة : فهي التكيف مع التطورات والأحوال المستجدة في الفروع والجزئيات لا في الأصول ، والتعايش معها بالأسلوب المناسب ، وتحقيق الغاية معاً ، ولكن على أسس شرعية مقبولة وفي ضوء المعايير الأصلية للشريعة ، والاستفادة من الأحكام الاستثنائية والرخص الشرعية في حال الضرورة أو الحاجة .

ومن مقتضيات المعاصرة : مواكبة التقدم والأخذ بأساليب التحضُّر ، والأنظمة الإدارية أو العملية في مجال الاجتماع والاقتصاد ، واستعمال كل وسائل الخدمات الحديثة في الكتابة ، والخطابة ، والإعلام ، واللغة العصرية ، والتقنية الحديثة ، والمعروضات المبسطة في « الأفلام » التعليمية ، والصحية ، والثقافية ، والزراعية وغيرها ؛ لأن الإسلام دين الحياة .

ولا بد من الاستفادة مما يسمى اليوم بالصحوة أو اليقظة الإسلامية وترشيد الجيل ، وتسليح النشء بضوابط العلم ، والمعرفة ، والحكمة ، والجرأة والشجاعة من غير تهور ، وإثارة العاطفة الدينية من غير تشدد ولا تنطع ، وفهم فكر العصر ومتطلباته من غير تصادم مع أصول الشريعة ، والأخذ بالحذر والفطنة والوعي ، والبعد عن التورط في مواجهة الخصوم الأقوياء ، حتى لا يعجل العدو بإجهاض كل تحرك إسلامي أو القضاء على أي تطلُّع ديني ، فنقع في خسارة كبرى . كما لا بد من الاعتزاز بالكرامة ، وعزة النفس ، سواء من الدعاة أو المدعوين ، ولا داعي في تقديري لإعلان الحكم السريع أو المباشر بتكفير أحد أو المساس بكرامته ، حتى لا نخسر الصديق ، ولا نفرط بالأهل والقرابة ـ قرابة النسب والفكر ، والأخوة ، والدين ، والبلد والوطن والقبيلة والعشيرة . فإن أول ما طولب به النبي ﷺ إنذار الأقارب ، للتقوي بهم ، عند دعوة الأباعد إلى دين الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤ـ٢١٥] .

ويكون احترام ملكات الناس واختلاف ظروفهم النفسية

والعقلية والاجتماعية من أصول منهج الدعوة الحكمية[1]

عوائق الدعوة : إن من أهم المشكلات المعاصرة التي ينبغي تجاوزها بنجاح في منهج الدعوة الإسلامية هو حاجز العقيدة ، ومفهوم الحضارة الحديثة .

أما **حاجز العقيدة** : في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، فهو الجدار الصعب الذي ليس من السهل تخطيه ؛ لأن الناس توارثوا عقيدة معينة ، وتأثروا بها في نطاق الأسرة والتربية وفي المجتمع . وهجر تلك الموروثات والتقاليد صعب عسير ، يتطلب حكمة الداعية ومحاولة فهم أصول تلك العقيدة وإدراك غاياتها ، سواء أكانت وثنية كما في بعض البلدان الإفريقية أم سماوية يهودية ومسيحية . ويأتي الحوار الهادىء ، والاعتماد على العقل والمنطق ، والإقناع بالبراهين النقلية والعقلية في طليعة المناهج السديدة لدعوة هؤلاء إلى الإسلام .

أما العقائد الوثنية وأهلها الوثنيون : فربما كانت الدعوة

---

(١) جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن للدكتور رؤوف شلبي : ص ٤٣ .

إلى الله بينهم في عصرنا الحاضر أيسر وأسهل من دعوة أهل الكتاب ؛ لأن عقائدهم بالية ، لا يساندها منطق ، ساذجة خرافية لا يؤيدها عقل سليم ووعي صحيح . هذا بالإضافة إلى أنه لا توجد دول تتقبل أو تتحمس لمساندة الوثنية في عقلية القرن العشرين وما يليه . ومن هنا تنبغي المبادرة إلى توجيه هؤلاء الوثنيين ، ونقلهم إلى فكرة الدين أولاً ، ثم بيان حقيقة الإسلام الذي يتجسد فيه وَحْده صورة وحقيقة دين الله ووحيه وشرعه .

وأما أهل الكتاب فكانوا منذ بدء الدعوة الإسلامية وعلى ممر العصور أكثر مكراً وخداعاً ، وتخطيطاً وعداوة ، ومواجهة للإسلام والمسلمين ، كما في الحروب الصليبية وتأثيراتها إلى الآن ، وإيجاد دولة إسرائيل ، ولكنهم في الواقع هم أولى بالإيمان الصحيح ؛ لأن بينهم وبين الإسلام جسور التقاء ، تعتمد على مفهوم الإيمان الأصلي بالله ووجوده ووحدانيته ، وباليوم الآخر للحساب والجزاء ، ولديهم موروثات أخلاقية صحيحة ، لذا كانت أغلب كتب النبي ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة لإثبات عالمية الإسلام إلى الملوك والأمراء من الكتابيين ، وفيها كلها الآية الكريمة :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وأما عائق المفهوم الحضاري المعاصر : فهو واضح التأثير في الوسط الغربي ، حيث الحرص على المادية الطاغية العمياء ، والإقبال الشديد على ألوان الترف المعيشي ، وانتهاب اللذات ، والتحلل من كثير من قيم الأخلاق ولا سيما العرض . ومحاولة تجاوز هذا المفهوم سهل ، ببيان أن الإسلام دين يدعو إلى المادة والروح معاً ، وإلى توفير مطالب الجسد والروح ، ولا يهمل نداءات أحدهما أو دواعيه .

والمنهاج القرآني واضح كل الوضوح في هذا الجانب ، حيث تتكرر الآيات الداعية إلى العمل والابتكار والإفادة من خيرات الدنيا ، وجعل الدنيا مزرعة للآخرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] . ويقول النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1] .

* * *

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (جامع الأصول ١٠/٥٢١) .